(المملكة).. من لم يكن معنا فهو ضدنا!

في منتصف عام ٢٠٠٧، تناقلت الصحافة العربية نبأ شروع هوليود بتصوير فيلم ضخم يتعرض لقضية (الإرهاب) ضد الأمريكيين المقيمين في السعودية، ولفت هذا الخبر أنظار الجميع لحساسية القضية، خصوصاً أنها المرة الأولى التي تعالج فيها بطريقة مباشرة ومركزة.

بعد أقل من أسبوعين من عرضه في الولايات المتحدة في أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٧ بدأ عرضه في عدد من الدول العربية، لكن مُنع من العرض في كل من الكويت والبحرين. حقق الفيلم عائدات ضخمة منذ انطلاقه، وظل مدرجاً ضمن قائمة أكثر الأفلام دخلاً في شباك التذاكر الأمريكي لعدة أسابيع، وقد يعود ذلك إلى الدعاية الضخمة التي حظي بها، أو إلى موجة الاهتمام بقضية الفيلم التي بلغت أوجها في تلك الفترة، على تواضع المستوى الفني للفيلم مقارنة بأفلام الحركة (الأكشن).

قصة الفيلم

يبدأ الفيلم بعرض وثائقي جريء وغير مسبوق لتاريخ المملكة وعلاقتها بالولايات المتحدة حسب رؤية صنّاعه، مبتدئاً بتأسيس المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢ على يد (ابن سعود) الذي سيطر على معظم أنحاء شبه الجزيرة العربية بمساعدة «**المحاربين الإسلاميين الوهابيين**» حسب الفيلم، الذين كانوا ضد الغرب ويريدون العودة بالزمن إلى العهد الذي لم يكن فيه الإسلام مهدداً من قبل الغرب. وأثناء البحث عن الماء بمساعدة أمريكية عُثر بالمصادفة على كميات هائلة من النفط، التي سمح الملك بتصديرها إلى الغرب مع اعتراض الكثيرين في بلاده.

في عام **١٩٣٨**، أقيم أول اتحاد بين البلدين مع تأسيس شركة النفط العربية الأمريكية (أرامكو)، وأقيم مجمع سكني لإقامة العاملين فيه، حيث كانت **الشريعة الإسلامية الصارمة** تطبَّق خارج حدوده، في حين ينعم سكانه بالحرية.

بقي الأمريكيون في المملكة لحمايتها، وتدهورت سمعة الفئة الحاكمة بسبب حياتهم المترفة مما أفقدهم ثقة «المحافظين الدينيين». وفي ردّ على الدعم الأمريكي لـ «إسرائيل» في حرب **١٩٧٣**، قام «الوهابيون» بالضغط على الملك لمنع تصدير النفط، وتبين للجميع أنهم قادرون على التحكم بحياة الغربيين، وقد أدى هذا الحظر إلى إعادة التوازن بين المصدّرين والمستهلكين.

في عام **١٩٩٠** اجتاح العراقيون الكويت، وعرض (بن لادن) على حكومته استدعاء **جيشه** من أفغانستان لإخراج العراقيين من الكويت، ولكنهم فضلوا الاستعانة بنصف مليون جندي أمريكي، فبدأ (بن لادن) بإثارة الشغب ضد الحكومة **في الشوارع والمساجد**، ثم شرع في تنفيذ عملياته حول العالم خلال عقد التسعينيات.

المفارقة الطريفة هي أن هذا التوتر القديم والعميق يقوم بين دولتين هما: الدولة الأكثر إنتاجاً للنفط في العالم، والدولة الأكثر استهلاكاً له.. ويصل التوتر إلى أقصاه مع هجمات أيلول/سبتمبر **٢٠٠١**، والتي قام بها تسعة عشر شاباً، خمسة عشر منهم كانوا سعوديين، مما يعني تحول (بن لادن) إلى (قوة عالمية)، مع تصريحات لسفراء السعودية في الولايات المتحدة ببذل كل الجهد لملاحقته[١].

(١) هذا السرد التاريخي هو نقل للمعلومات التي وردت في الشريط الوثائقي الذي بدأ به الفيلم.

بهذه الدعاية الفجة يقدم الفيلم درساً استراتيجياً لفهم قضية الإرهاب برمتها، وبطريقة قد توحي بأن صناع الفيلم تلقوا فنون الإنتاج السينمائي في الاتحاد السوفييتي خلال حكم ستالين، حيث يُزور التاريخ وتؤوّل الحقائق لتحقيق أهداف مسبقة، كإقناع العالم بأن رفعَ أسعار النفط خلال حرب تشرين/أكتوبر كان بضغط من **الوهابيين** الحاقدين على الغرب، وليس نتيجة تنسيق عربي لمعاقبة الأمريكيين على الجسر الجوي الذي أقاموه لإمداد الصهاينة بالسلاح، وأن أسامة بن لادن كان يقود جيشاً قادراً على مواجهة نحو مليون جندي عراقي، وأنه كان يخطب في الشوارع والمساجد ضد أمن الدولة، والأهم من ذلك كله نسبة كل ما نراه من **إرهاب** إلى عقيدة **الوهابيين** الذين كانوا وما زالوا يريدون العودة بالمملكة إلى الوراء، دون الإشارة إلى أي ظلم يقع عليهم من الخارج!

بعد هذه المقدمة التي لا تقبل الجدل؛ يبدأ الفيلم بتأسيس العلاقة بين المُشاهد والعناصر الرئيسية للفيلم. ففي الولايات المتحدة، نجد أنفسنا أمام بطل الفيلم (رونالد فلوري)؛ وهو ضابط أسود في مكتب التحقيقات الفدرالي (FBI)، ويقوم بدوره الممثل جيمي فوكس؛ الذي يشرح لزملاء ابنه الصغير في المدرسة كيف كان يوم ولادة هذا الطفل هو أسعد أيام حياته في مشهد يشحن المُشاهد بالتعاطف اللازم مع الضحايا الأمريكيين الذين يقدسون الروابط الأسرية. وفي الوقت نفسه نشاهد مباراة بيسبول تجري داخل أسوار مجمع سكني مخصص للأمريكيين وسط الرياض، مع لقطات أخرى سريعة للروابط الأسرية داخل المجمع، بالتزامن مع لقطات يظهر فيها قائد **الخلية الإرهابية** المسنّ (أبو حمزة) وهو يحتضن حفيده الصغير على سطح إحدى البنايات المطلة على المجمع السكني طالباً منه المتابعة عبر المنظار المقرِّب للحدث الذي تقوم مجموعة من الشباب بتصويره، لترسيخ صورة الطفل العربي الذي ينشأ على العنف منذ الصغر.

عند مدخل المجمع السكني المحصن بعدة حواجز أمنية، ينجح اثنان من أعضاء الخلية؛ وهما يرتديان ملابس الشرطة بقتل اثنين من رجال الشرطة وخطف سيارتهما، ثم ينقضان على سكان المجمع ويفتح أحدهما عليهم النار بطريقة عشوائية. وعندما يعم الذعر والفوضى بين الناس، يصرخ أحد رجال الخلية المتنكرين في زي الشرطة طالباً منهم التوجه إليه لحمايتهم، ثم يفجر نفسه بينهم مع ترديد الشهادتين.

يتصل محقق أمريكي (فرانك) يعمل في الرياض من موقع الحدث ببطل الفيلم (رونالد) الذي ما زال يقص القصص للتلاميذ الصغار ليخبره بالجريمة، وعندما يهمّ المحقق (رونالد) بمغادرة المدرسة يكتشف ابنه الصغير بسليقته السليمة أن هناك أشراراً في الخارج ينتظرون من يقضي عليهم، في حين أننا نجد (أبو حمزة) يمسك رأس حفيده الصغير ويجبره على مشاهدة الجريمة. وعندما يحتشد المسعفون والمحققون في المكان، يُكمل المتطرفون جريمتهم بتنفيذ الانفجار الأكبر، فيُنسف بناء كامل من عدة طوابق، ويُقتل أكثر من مئة ضحية ومنهم العميل فرانك.

يناقش فريق التحقيق مع زملائهم في (الإف بي آي) إمكانية الذهاب إلى المملكة للمشاركة في التحقيق، ولكن الطبيبة الشرعية (جانيت مايز)؛ الممثلة جنيفر غارنر، تخبر الجميع بأن السلطات هناك لا تسمح بتدخل أي أحد في التحقيق حفاظاً على هيبتها، ولما كانت هيبتها تعني استمرار تدفق النفط، وهذا هو الأهم، فإنهم لن يذهبوا. وينهي (رونالد) الخلاف مع تهديده السفير السعودي؛ الممثل رعد راوي، بفضح تورطه في تمويل ثلاثة (إرهابيين) في بوسطن[1]، ويصل التصريح الاستثنائي للفريق بالسفر إلى السعودية في طائرة عسكرية.

---

(١) وهي إشارة إلى التحقيق الذي فتح في الولايات المتحدة في تشرين الثاني/ نوفمبر ٢٠٠٢ حول تحويل زوجة السفير السعودي المال إلى اثنين من منفذي هجمات أيلول/ سبتمبر.

على الجانب السعودي، يتولى اللواء عبد المالك؛ الممثل **محمود سعيد**، مهمة التحقيق في الأمر، ويُتهم النقيب هيثم؛ الممثل الفلسطيني **علي سليمان**، بالتواطؤ مع المتطرفين، ويحاول اللواء انتزاع اعترافاته بالتعذيب، ولكن العقيد فارس الغازي؛ الممثل الفلسطيني **أشرف برهوم**- يُظهر براءته على الفور.

وبتكليف من الأمير أحمد بن خالد؛ وهو شاب صغير السن ويقوم بدوره الممثل **عمر بردوني**، يتولى العقيد غازي مهمة الحفاظ على أمن الفريق القادم من أمريكا، الذي يضم إلى جانب المحقق (رونالد) الطبيبة (جانيت) وخبير المتفجرات (جرانت سيكس) وخبير الكومبيوتر (آدم ليفت)، ولكن السعوديين يرفضون التعاون مع الفريق، فيطلب (رونالد) من الأمير المزيد من حرية التحرك ويأتي الجواب بالموافقة.

في اليوم التالي، يصطحب العقيد غازي المحقق رونالد معه إلى متطرف تائب كان يعمل مع (أسامة بن لادن) شخصياً، وهو رجل مسن ويدعى (عز الدين)؛ الممثل **الإسرائيلي** يوري غابرييل! وقد انتهى به الأمر إلى التعاون مع السلطات السعودية للقبض على المتطرفين. وفي نهاية الحوار يكشف عز الدين عن إصبعين مفقودين من أصابع يده اليمنى، ويخبرهما بأن كل من يعمل في تركيب المتفجرات سيفقد حتماً بعض أصابعه، في إشارة إلى (أبو حمزة).

مع تطور الأحداث يشتبك الفريق مع عصابة من المتطرفين ويُخطف (سيكس)، لتبدأ عملية المطاردة لإنقاذه والتي تقود الفريق إلى منطقة السويدي، وعندها يصرخ العقيد غازي: لا ينبغي لنا أن نكون هنا! ومع أن الفريق تعرض لوابل من الرصاص وقذائف (الآر بي جيه) من جميع الجهات إلا أنه ينجح في قتل الجميع دون أن يُخدش!.. وهو مشهد مألوف في أفلام هوليود عندما يتساقط (الإرهابيون) بثيابهم العربية

وأسلحتهم الآلية ونجده في أفلام كثيرة مثل (Cast a giant shadow) في الستينيات، و(Death before dishonor) في الثمانينيات، و(True Lies) في التسعينيات، ولكن الفارق الوحيد في هذا العقد هو أن الممثلين العرب باتوا يشاركون في صيد (الإرهابيين) إلى جانب الأمريكيين و(الإسرائيليين).

بعد تصفية المهاجمين، تنجح الطبيبة الماهرة في الوصول إلى زميلها في اللحظة الأخيرة قبل أن يُذبح أمام الكاميرا، ويستغرق قتل العنصر الأخير من العصابة الكثير من الجهد ليأخذ المُشاهد وقتاً يسمح بربط صورة وجهه الملتحي بالبشاعة المطلوبة.

وقبل أن يهم الفريق بالخروج من المنطقة إثر نجاح العملية، تدخل الطبيبة إحدى الشقق لتعتذر من طفلة أفزعتها عن طريق الخطأ. وقبل أن نتعاطف مع العائلة المكونة من نساء وأطفال وشيخ عجوز، نكتشف أننا أخيراً أمام رئيس العصابة (أبي حمزة) بثوبه الأبيض ولحيته البيضاء ووجهه الوقور، وما إن يكتشف العقيد غازي حقيقة الرجل من أصابعه المبتورة، حتى يقوم حفيده المراهق بإطلاق النار على رأس العقيد، ثم يُقتل الفتى وجدّه، ويُسلم العقيد غازي الروح سعيداً بالانتصار وهو في أحضان صديقه المحقق رونالد.

رسائل وصور نمطية!

يعد هذا الفيلم نموذجاً صارخاً للأفلام المشحونة بالدعاية (البروباغاندا) في مرحلة ما بعد أيلول/ سبتمبر ٢٠٠١، كما أنه من أكثرها توريطاً للعرب والمسلمين في تحقيق تلك الدعاية وفقاً للرؤية الهوليودية الجديدة لظاهرة **المسلمين الأخيار**، وقد حظي الفيلم بترحيب جيد من قبل بعض الصحفيين العرب لتقديمه صورة قد تعد إيجابية للمسلمين الرافضين

للعنف، فضلاً عن إظهاره مدى التعاون الرسمي للسلطات العربية في **الحرب على الإرهاب**. في الوقت الذي يرى فيه آخرون أنه يسيء بشدة إلى العرب والمسلمين، إلى درجة منعه من العرض في بعض الدول. وسنكتفي هنا بسرد بعض الرسائل الموجهة والصور النمطية الواردة في الفيلم، مع تحليل بعض النماذج.

يقدم الفيلم معظم الصور النمطية التي اعتدنا عليها في أعمال هوليود التي تتعرض للعرب والمسلمين، وخصوصاً تلك التي تتعلق بالسعودية على وجه الخصوص. فما إن تحط طائرة الفريق في (قاعدة الأمير سلطان) وتُطلب جوازات سفرهم، حتى يلاحظ أحد الضباط وجود ختم (إسرائيلي) في إشارة سريعة إلى المقاطعة العربية، أو لنقُل **الذعر العربي**، التي لا ترضي صناع الفيلم تجاه الكيان الصهيوني. وعندما يصل الفريق إلى مسرح الجريمة، تتوجه الكاميرا إلى مجموعة من رجال الشرطة في أثناء أدائهم صلاة الجماعة ضمن سلسلة من اللقطات السريعة التي تتولى تعريف المشاهد ببشاعة الجريمة. وفي نهاية المشهد، يلتفت أحد الضباط السعوديين إلى النقيب هيثم المكلَّف بحراسة الفريق الأمريكي، ويقول له ساخراً: «أأنت مستعد للموت وأنت تدافع عن عدوك؟»، ثم تدور العدسة مجدداً باتجاه الشرطة الذين يؤدون الصلاة!

في المشهد الذي يليه، يقوم الأمير أحمد بزيارة الفريق في مسرح الجريمة للمرة الأولى، ويسارع أحد مرافقي الأمير لوضع عباءة رجالية على جسد الطبيبة (جانيت) لإخفاء صدرها البارز في مشهد يثير استياء الفتاة المتحررة وسخرية المشاهد في الوقت نفسه. وفي مشهد آخر يخبر العقيد غازي المحقق رونالد على استحياء عن عدم إمكانية اصطحاب الطبيبة معهم إلى الوليمة في قصر الأمير لأنها دعوة للرجال فقط، قائلاً: أنت تعرف التقاليد، فيترك المحقق هذا الأمر للعقيد كي يحرجه، فتتمكن

منه عقدة النقص ويخجل من إخبار الطبيبة بالأمر، في إشارة إلى تهافت تلك التقاليد وضعف ثقة أصحابها بأنفسهم.

أما الصور النمطية للشعب السعودي، وللمسلمين عامة، فتجد مكانها في معظم مشاهد الفيلم، ونذكر منها مشهد رحلة الفريق البرية على أطراف الرياض حيث تلاحق الكاميرا عدداً من الجمال ورجلاً يصلي بجانب سيارته على طرف الطريق الصحراوي في عدة لقطات خارج سياق الحدث. وفي مشهد آخر؛ تحاول الطبيبة (جانيت) تشريح جثة أحد ضحايا التفجير فيصرخ الشرطي المتعصب بأسلوب همجي: «لا.. حرام.. هذا شاب مسلم».

ويبدو واضحاً حرص صناع الفيلم على توزيع بعض رسائلهم الخفية بين المَشاهد دون مناقشتها، أو طرحها على ألسنة بعض الشخصيات دون التعليق عليها، إذ يصرخ أحد سكان المجمع السكني، بعد مقتل زوجته، في وجه العقيد السعودي قائلاً: «أهذا ما يريده النبي محمد.. أهذا ما يريده الله؟.. أيحب الله أولادكم أكثر من أولادي؟ أيحب الله زوجتك أكثر من زوجتي؟»، ثم يسمح المخرج للمحقق (رونالد) بأداء دور المهدئ للاحتقان والذي يعجز بالضرورة عن منع وصول هذه الرسالة إلى أسماع المشاهد الأمريكي.

رسالة أخرى أكثر خبثاً نسمعها على لسان المحقق (سيكس)؛ الممثل اليهودي كريس كوبر، عندما يمسك في مشهد خارج عن السياق بنسخة إنجليزية من القرآن الكريم، ويسأل زملاءه: «كم عدد العذارى؛ أي الحور العين، اللاتي ستحظى بهن بعد هذه الحياة الدنيا في حال اتباعك لما يؤمن به المتعصبون؟»، وتجيب (جانيت) على الفور: سبعون، فيرد عليها (سيكس): إجابة خاطئة. وينتهي المشهد دون تعليق أو تصويب، مع ترك الأمر للمُشاهد كي يتوقع الإجابة التي تناسبه، وبطريقة تعطي صناع الفيلم هامشاً لادعاء البراءة.

أما مشهد المطاردة الذي يقود الفريق إلى منطقة السويدي في وسط الرياض فيضم الكثير من الصور النمطية للإسلام لتصب في العقل الباطن للمُشاهد دفعة واحدة، ويبدأ المشهد بتنميط المنطقة تمهيداً لما سيأتي عندما تعلن الطبيبة (جانيت): «السويدي هو معقل مشهور للمسلحين ومركز لتجنيد القاعدة»، علماً بأن هذا (المعقل المشهور) لا يختلف عن أي حي شعبي في وسط الرياض، ولكن رسالة الفيلم تستلزم شيطنته على طريقة هوليود في تصوير أحياء (هارلم) و(برونكس) في نيويورك عند تحقيرها للسود، لذا يتحول حي السويدي فجأة إلى ما يشبه أحياء عصابات المخدرات في ساو باولو![1] وتُملأ الأحداث سمعياً وبصرياً بالصور النمطية للنساء المنقبات والرجال الملتحين والمآذن المرددة لأصوات التكبير.

ويتكرر الأمر نفسه في مشاهد المداهمة، بدءاً بالآيات القرآنية وسجاجيد الصلاة المعلقة على الحيطان، ووصولاً إلى بشاعة الشباب الملثمين وصوتهم المرعب في قراءة البيان قبل ذبح الرهينة: «لقد تم القبض على العلج الأمريكي، وسوف يلقى جزاءه بالذبح بالسكين، وذلك لتعاونهم مع إسرائيل بغية الإفساد في الأرض ومحاربة المسلمين».

في المشهد الأخير، يعود الفريق المنتشي بالنصر إلى (الإف بي آي)، ويُختم الفيلم بمحادثتين تجريان في وقت واحد، في كل من واشنطن والرياض.

ففي الأولى يسأل أحدهم (رونالد) عن الكلمات التي همس بها في

(١) ربما جاء اختيار كاتب القصة لهذا الحي على خلفية الاشتباكات التي جرت فيه بين عناصر الأمن السعودي وأعضاء في تنظيم القاعدة في تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠٠٤، ولكن اشتباكات أخرى جرت في العديد من أحياء الرياض، وليس هناك ما يستدعي تنميط أي منها على هذا النحو!

أذن (جانيت) لمواساتها عندما علمت بمقتل صديقها العزيز (فرانك) في بداية الفيلم، وفي الثانية تسأل ابنة الشيخ (أبي حمزة) ابن أخيها الصغير عن الكلمات التي همس بها جدّه في أذنه وهو في النزع الأخير. ويأتي الجواب واحداً من (رونالد) وحفيد (أبي حمزة): «سنقتلهم جميعاً»، ثم تغوص الكاميرا في عيني الطفل البريء، والمفجوع بفقد جده أمام عينيه. إنها نشوة النصر بتحقيق الوعد الذي قطعه (رونالد)، ولكنه نصر منقوص، فقد مات الشيطان حقاً، ولكن سلالته لن تموت، وستبقى الحرب قائمة![1].

رسالة الفيلم الخفية

علاوة على ما سبق ذكره من الرسائل والصور النمطية التي يمتلئ بها الفيلم، يمكن القول بأن الرسالة التي يلخصها مشهد قتل (أبي حمزة) هي الأكثر خطورة وأهمية، فبعد إنقاذ (سيكس) من الذبح ومحاولة الطبيبة الاعتذار من الطفلة المحجبة إيذاناً بانتهاء المهمة، يبدأ المشهد بالربط مع ذاكرتنا البصرية للجيش الأمريكي في العراق، ونسترجع لاشعورياً مشهداً مشهوراً تناقلته وسائل الإعلام لطفلة عراقية يجبر الجيش الأمريكي عائلتها على الخروج من المنزل في أثناء مداهمته، وتبدأ الرسالة بتنميط صورة الجيش الأمريكي عبر الإنسانية المفرطة للطبيبة المجندة (جانيت) بإخفاء سلاحها عن عين الطفلة والمسارعة إلى تقديم الحلوى والاعتذار.

ويستمر التنميط الخفي مع تحول بيت متواضع يستجدي أهله الرحمة إلى وكر للإرهاب، فينطلق الموت المباغت من مسدس الفتى المراهق دون مبرر، ولا يُقتل الفتى بالرصاص الأمريكي إلا بعد شروعه في محاولة

(١) لا تقتصر الخطورة في نظر الفيلم على استمرار وجود القاعدة كأفراد يخضعون لتنظيم سري، بل يُعزى الخطر أيضاً إلى تعاطف المجتمع السعودي وبعض رجال الأمن مع هذا الفكر، وإلى درجة تورط السفير الأمريكي نفسه في الأمر.

قتل أخرى، ولا يفوّت الفيلم فرصة التأكيد على إنسانية الجيش الأمريكي مجدداً عندما تبذل (جانيت) جهدها لإسعافه.

ويستمر التنميط بالانتقال من الأطفال القتلة والنساء المحجبات إلى الشيخ الوقور العاجز عن الحركة، الذي يخفي تحت عجزه ولحيته البيضاء حقيقة إجرامه، لنكتشف في النهاية أن أكثر الأسر المسلمة إقناعاً لنا في ظاهرها بالسلم والرفق هي أشدها عنفاً وإجراماً، وستُبرر بذلك جميع المشاهد الواقعية لعمليات المداهمة التي ستعرضها نشرات الأخبار فيما بعد عما يجري في العراق وأفغانستان وفلسطين المحتلة.

الضريبة!

مع أن المسلمين هم من أكثر الشعوب معاناة من الاضطهاد والفقر والتخلف، فإن معظمهم يدرك أن التطرف والتفجير العشوائي وخطف الأبرياء وقتلهم هي كلها جرائم لا تنتمي إلى الإسلام ولا إلى أي دين يحترم الإنسانية، وأن مشكلاتهم لا يمكن أن تحل بتلك الطريقة، لذا فإن إحصاءات الاتحاد الأوربي تؤكد أن عملية إرهابية واحدة من بين كل خمس مئة تقريباً تعود إلى متطرفين إسلاميين[١]، ولكن هوليود ما تزال مصرة على انتهاز هذه النسبة التي لا تكاد تُذكر لتضخيم خطر الإسلام وشيطنته، دون الاكتراث لحقيقة أن تناول هذه القضية الشائكة بمنظور سطحي وساذج لن يفضي إلا إلى المزيد من العنف، فتحقير المسلمين وتبرئة البطل الأمريكي مع كل ما يجري في العراق وغيرها، هي كلها أمور تزيد من الشعور بالإحباط والعجز، وتنمي لدى الشباب المتحمس الرغبة في الانتقام.

(١) جراهام فولر: ماذا لو لم يظهر الإسلام، ترجمة أحمد عز العرب، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ٢٠٠٨.

والسؤال هنا: إذا كان هذا الفيلم يناقش خطراً حقيقياً وغير مصطنع، فلماذا إذن لا تُصور الحقيقة كاملة؟ إذ يقدم لنا صورة بريئة للأطفال الأمريكيين بدءاً من ابن المحقق (رونالد) ثم ابن المحقق (فرانك) الذي قضى في التفجير، ومروراً بالأطفال الذين تعرضوا للأذى في المجمع السكني، أما الأطفال في الجانب العربي فإما أن يكونوا أبرياء كأولاد العقيد غازي المتعاون مع الأمريكيين، أو أبناء عوائل متطرفة فيمارسون القتل أو يحملون لواء العنف كحفيد (أبو حمزة).

لا شك في أننا نتعاطف مع الأطفال الأمريكيين الذين تضرروا من الإرهاب، ولكننا لم نرَ في تاريخ هوليود كله لقطة واحدة لأطفال دير ياسين وصبرا وشاتيلا وكابُل والفلوجة وجنين وبيروت وغزة. ولا شك أيضاً في أننا نتألم لمقتل زوجة ذاك الأمريكي الغاضب، ولكنا لا نكاد نعثر في أرشيف هوليود على قصص لنساء محجبات تنتهك أعراضهن ويذبحن أمام عيون رجالهن وفي وسط بيوتهن[1].

لذا ومع أنه لابد من ضرورة إدانة الإرهاب ومكافحته والتبرؤ منه، فإن العدل لن يتم ما لم تكتمل الصورة ويُدان المخطئون من الطرفين، وإلا فسيُنظر بعين الشك إلى كل مساهمة يقدمها العرب في أفلام كهذه، ما اقتصر الطرح على رؤية واحدة. وإذا كنا نشيد بجهود المستشار السعودي في هذا الفيلم (**أحمد الإبراهيم**) في إجراء الكثير من التعديلات فمن غير الممكن غض الطرف عما يتضمنه الفيلم من إساءة وصور نمطية في حق

---

(١) لعل الاستثناء الوحيد هو فيلم (Redacted) الذي أخرجه (برايان دي بالما) عام ٢٠٠٧، وتم رفضه في هوليود، بل منع من العرض في كل صالات العرض الأمريكية باستثناء تلك الصالات التي يملكها منتج الفيلم!

(٢) ذكر السيد أحمد الإبراهيم أنه عمل على تعديل ٩٠٪ من مشاهد الفيلم، مما يدعونا إلى القلق بشأن حجم الإساءة الهائل الذي كان مقرراً في (السيناريو) الأصلي قبل تعديله! [في حوار نشرته صحيفة الرياض، الخميس ٢٤ شعبان =

الكثير من مظاهر الإسلام وحياة المسلمين اليومية[١]، كما لا يمكن التساهل مع مشاركة ممثلين عرب و(إسرائيليين) في فيلم كهذا وخصوصاً في مشاهد لا تخلو من المصافحة والمودة؛ كالذي جمع بين الممثل الفلسطيني **أشرف برهوم** والإسرائيلي **يوري جابرييل!**

= ١٤٢٨هـ - ٦ أيلول/ سبتمبر ٢٠٠٧م - العدد ١٤٣١٨]، علماً بأن الإبراهيم "لا يرى أن الفيلم في شكله الذي عرض به في نهاية الأمر سلبي على الإطلاق" [في حوار نشرته صحيفة الشرق الأوسط، الجمعة ١٤ شوال ١٤٢٨ هـ ٢٦ تشرين الأول/ أكتوبر ٢٠٠٧ العدد ١٠٥٥٩]، وذلك مع كل ما يمتلئ به الفيلم من إساءات سبق لنا الإشارة إلى نماذج منها!